

السحرة كلمة السر.. والإنترنت أكبر سوق للمهرين

تجارة الآثار.. البيزنس الحرام في مصر

التنقيب عن الكنوز القديمة والأثرية إحدى الحرف التي يمتنها كثيرون في مصر على مر العصور، لكنها زادت بشكل كبير بعد ثورة 25 يناير، وقد استغلت مافيا الآثار حالة الانفلتات الأمني وغياب الشرطة والرقابة في سرقة وتهريب الآثار، التي تطورت بشكل سريع، لدرجة أن تداولها عبر صفحات الإنترنت أصبح (على عينك يا تاجر) وباتت السيديات أهم وسائل التسويق.

القاهرة - محمود عبد الحليم

وتقدم عدد من المواقع الإلكترونية خدماتها للباحثين عن الثراء السريع، بداية من طريقة البحث للعثور على الآثار، وانتهاءً بأحدث الأجهزة للكشف والتنقيب عن الذهب والكنوز والآثار والأحجار الكريمة وغيرها، ويدعم هذه المواقع عدد من الخبراء في الآثار، لتحديد القطعة ونوعها وقيمتها، وكيفية تسويقها، وكذلك تهريبها.

ويعد موقع (رجالة دوت نت) هو أحد المواقع المشبوهة التي يصل عدد المشتركين فيه إلى 382 عضواً، يحتوي على منتدى ينقسم إلى مجموعة من الأقسام مثل قسم طلبات البيع والشراء للكنوز، وأخرى لطرق استخراجها، وثالثة لطلبات البحث عن الآثار.. واللافت للنظر في الموقع هو إعلان أعضائه أرقام هواتفهم المحمولة للمساعدة في الإجابة على كافة الاستفسارات وطرق التعامل مع القطعة الأثرية منذ استخراجها وحتى بيعها.

وعلى المنتدى سجل المستخدم عمرو علي أن بيته في الصعيد، وقد قام بالحفر فيه حتى وصل إلى طبقة فحم، وأنه كلما ضرب بالفأس في الأرض (بتطبل)، وأنه استخراج أشياء تشبه القراطيس الفخارية والحجارة الصغيرة مرسوم عليها تماسيح.. مؤكداً أن هناك المزيد تحت الأرض، لكن مشكلته هي التمويل، وقد اضطر للتوقف، معرباً عن استعداده لمشاركة أي أحد لديه المقدرة المالية والفنية لاستخراج هذه الآثار.. وقد ترك رقم تليفونه على الموقع لإثبات جديته.. في حين وضع آخرون أرقام تليفوناتهم المحمولة لتقديم النصائح الذهبية المجانية عن كيفية تهريب تلك الآثار للخارج.





على أرض الواقع وتحول العاملون بها إلى موظفين ليس لديهم الوعي الثقافي بقيمة المتاحف، إضافة إلى انتشار مواقف الباصات بجوار المتاحف والمناطق الأثرية، بينما على النقيض في أوروبا كل مسؤول بإدارة الحكم المحلي يراعي الأماكن الأثرية التي تقع في نطاق ولايته، ويقوم باستقبال الوفود الرسمية بالقاعات التابعة للمتاحف في حل مبتكر لتنشيط السياحة، وبالتالي نقل صورة المتحف ومقتنياته للعالم عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.. بينما قام المسؤولون عن المتاحف بأوروبا بتحويل المناطق المجاورة للمناطق الأثرية إلى مراكز تجارية.

توعية معدنة

ويرى د. ناجح عمر، رئيس قسم الآثار المصرية بكلية الآثار جامعة الفيوم، أن أسلوب العرض لا بد أن يواكب العصر، خاصة في مصر، حيث إن المتاحف القديمة تفتقر إلى الأساليب الحديثة في العرض، على الرغم من كونه أعظم المتاحف في العالم، حيث وضعت أسس للتخزين على أن يتم التخزين بوضع الآثار على أوان فخار بدلا من أن تتعرض للرطوبة والحرارة وبه مخازن وحجرات بها قطع آثار كبيرة جداً يفتقر للمراجعة والتطوير والحفاظ على القطع الأثرية بوضعها بأسلوب علمي بمخازن متخصصة، ولدينا رصيد أثري يكفي لإنشاء متحف في كل محافظة، على الرغم من السرقات العديدة التي تعرضت لها المتاحف المصرية.

مشعوذون

ويؤكد الدكتور وائل بكري، مدرس الآثار والفنون الإسلامية بجامعة جنوب الوادي، أن أغلب الآثار والتحف المصرية انتقلت إلى أوروبا في العصور الوسطى، حيث حرصت الكنائس والأديرة على الاحتفاظ بها، خاصة تلك المرتبطة بكبار القديسين، وقد ظهرت العناية بالتحف بشكل بارز في عصر النهضة الأوروبية في إيطاليا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وامتدت بعد ذلك تلك الظاهرة للعديد من الأقطار الأوروبية وزخرت قصور الأسر الشهيرة مثل أسرة الميديشي في فلورنسا بالتحف الجميلة.

مجوفة من الداخل. فيتم تصويرها بكاميرا لها فلاش مع وقوف شخص وراء الأثر. فهم يزعمون أن الفلاش يخترق الذهب الفرعوني مثل الزجاج، ويظهر في الصورة انعكاس للشخص الواقف في الخلف، ويمكن رؤية أجزاء منه وبذلك يتم التأكد من صحة الأثر.

عصابات مسلحة

يؤكد الدكتور عبد الحميد معروف، رئيس قطاع الآثار الإسلامية، أن سرقة الآثار وتهريبها تحولت إلى ظاهرة خطيرة تهدد أمن المجتمع، حيث يتم الهجوم على المتاحف والمخازن لسرقة تلك الثروة القومية في وضوح النهار، وذلك مثلما حدث عند اقتحام المتحف المصري وسرقة 58 قطعة أثرية.. إضافة لاقتحام مخازن كفر الشيخ وتل الفراعين والهرم والقنطرة شرق وتل الضبعة، وكذلك المتحف العلمي بجامعة القاهرة والجامعة الأمريكية، حيث تتم مهاجمة هذه المخازن بعصابات مسلحة، مستغلين الانفلات الأمني وظروف البلاد.

تلاعب تكنولوجي

يناشد د. مختار الكسباني، أستاذ الآثار في جامعة القاهرة، وأمين عام الآثار الإسلامية والقبطية كل من يقع تحت يده سيديها لمثل هذه العمليات أن يسلمه للمباحث فوراً حتى لا يتعرض للمساءلة القانونية. وأكد أن السيديها لا يمكن أن تكون دليلاً قاطعاً على أصالة القطع الأثرية، فهذه السيديها تعرض على المجلس الأعلى للآثار منذ خمس سنوات، ويحولها لمباحث الآثار، التي تتولى عملية تتبعها وعرضها على أخصائي المصنقات الفنية لكشف التلاعب التكنولوجي فيها. و90٪ من هذه الاسطوانات لقطع مقلدة يقوم السماسرة بتداولها للنصب على الخليجين والأجانب، فهم الأكثر ثراءً ولديهم هوس بالتحف المصرية. وفي الوقت نفسه لا يستطيعون الإبلاغ عن عملية النصب عندما يكشفون زيف القطعة.

ويستنكر عدم وضع خطط للمتاحف بالتنسيق مع باقي وزارات الدولة، والدليل أنه يوجد في كل محافظة إدارة للتنشيط السياحي لا تفعل شيئاً

يبحث عن المشتري المناسب، ويتعرض الطرفان لمشكلات كبيرة إذا كانت القطعة مقلدة.. ثم الخبير الأثري الذي يقوم بعملية الكشف على القطعة الأثرية، ويتأكد منها وتقدر ساعة الخبير بـ50 ألف جنيه يحصل عليها قبل الكشف.. وتتضاعف في حالة التأخير لتصل إلى مائة ألف جنيه، حيث يتنقل للكشف على الأثر والتأكد من سلامته بعد نقله لمكان آمن وسري.. وللخبير حيل عدة للتعرف على حقيقة الأثر، لذلك يطلقون عليه الدكتور، وفي حالة اكتشاف زيف الأثر يدفع صاحبه غرامة للتجار، وإذا كان حقيقياً يتم شراؤه فوراً.

الوزن المثالي والمسافات

وللتأكد من أن الأثر ذهب حقيقي، يضع الخبير إبرة معدنية في جسم التمثال، ولا بد أن تخترق الإبرة المعدن حتى درجة معينة، حيث إن الذهب الفرعوني على حد زعمهم مرن، ويسمح للمعدن بالمرور حتى الوصول لتجويف هوائي لا يستطيع المرور بعده، بعد ذلك توضع القطعة الذهبية في المياه، لأن الذهب الفرعوني يطفو على سطح الماء، عكس المعادن الأخرى، أما التماثيل الحجرية فيتم التأكد من المسافات بين العينين والأذن ووضع قدمي التمثال، ويجب أن يكون هناك تطابق تام في المسافات مع التأكد من الكلمات المكتوبة على ظهر التمثال بالهيروغليفية، كما يطبقون نظرية الوزن المثالي، بحيث يكون مقابل كيلوجرام واحد، فإذا كان التمثال 20سم يجب أن يكون وزنه 20 كيلوجراماً.. بعد المرور بكل هذه الاختبارات، تبدأ عملية البيع، أما إذا كان حجم التمثال كبيراً أو الصفحة تدور حول توابيت ذهبية أو تماثيل

مخطوطة للتوراة

وفي موضع آخر يعرض خبير مجموعة من الآثار النادرة، واصفاً أصغرها بأنها عبارة عن مخطوطة جلدية للتوراة ولوحة أخرى يقدر عمرها بـ2300 سنة.. وثالثة لسيدة يتبعها أسود وبها صلبان روماني وعليها رموز سحرية من سنة 328 ميلادي.. مشيراً إلى أن لديه مجموعة كبيرة من الآثار المصرية القديمة، وأنه سيعلم عنها عند الاتفاق، وترك رقم المحمول. وقد قام مسؤولو الموقع بوضع شروط وإجراءات للتأكد من جدية عمليات البيع والشراء للسادة المعلنين، على رأسها تجهيز مبلغ الشرط الجزائي قبل تحرك أي أحد من التجار تقدر بـ50 ألف جنيه للخبير، و25 ألفاً للاستشاري.. كما يوضح الموقع للعارض أن هذه الآثار ليست لها قيمة إلا إذا كانت مجموعة أثرية كاملة، ومتوافر لديه خرائط توضح مكان العثور عليها. وفي قسم البيع والشراء قام العضو الزعيم بعرض صور لمجموعة من التماثيل الصغيرة وطلب من المشتريين الاتصال به، إلا أن مسؤولي الموقع كشفوا أن هذه التماثيل مقلدة.

وعلى موقع كنوز ودفائن دار حوار ساخن بين الأعضاء الذين اختلفوا على صورة تمثال فرعوني يرفع قدمه اليمنى، وكأنه في وضع راقص وضعتها العضو حسن الكبير، من أجل تثمين التمثال ومعرفة إلى أي حبة ينتمي ومعلومات مفصلة عنه.. ورأى معظمهم أن هذا التمثال غير حقيقي ومقلد، بينما أكد آخرون أنه قديم وتظهر عليه علامات ورموز تؤكد أنه أصلي، في حين طالب آخرون بانتظار دخول الخبير للرد والفصل بينهم. وتشكل سيديها الفيديو أهم وسائل تسويق الآثار المسروقة، ويجب أن يحدد الفيديو ثلاثة عناصر: الأول مستخرج الأثر، ثم السمسار الذي

أساتذة التاريخ: لدينا رصيد أثري يكفي لإنشاء متحف في كل محافظة